

الفصل السابع

مستويات رفيعة وتقويم فعال

« يتحقق التميز التعليمي للتلاميذ على أفضل وجه عندما يوجد انهماك كامل من المدرسين والتلاميذ والمديرين والآباء لإقامة وتطوير حوار بين كل الفرقاء من أجل وضع أهداف للمدارسنا » .

إدوارد ديبريت (Edward D. Diprete)

حاكم رود أيلند الأسبق (Rhode Island 1991)

يتزايد الطلب من المدارس ونظم التعليم لتطوير مستويات تدفع بالتلاميذ إلى النجاح . ومع سرعة التغير ، يجب أن تكون هذه المستويات مرنة ؛ لكي لا تجمد النظام أو تلاميذه في ماضٍ ولى أو حاضر سرعان ما يزول .

يؤكد جارى روى (Gary Rowe) ، فى حديث عن المستويات الصارمة ، أن : « إخضاع المعلومات فى المدارس لما يعرفه المدرسون أو لا يعرفونه لا معنى له فى عصر المعلومات . ويمكن تطوير مقررات ومناهج وممارسات مهنية تسمح للتلميذ أن يكتشف ما وراء الحدود المفترضة . ويمثل المدرسون الممتازون القادرون على العمل بسهولة فى هذه البيئة جزءاً من القيمة الحقيقية للمدرسة » .

■ تتفق المدارس والعائلات والمجتمعات المحلية على مستويات عالية لأداء التلاميذ .

■ تسرى المستويات الرفيعة على جميع التلاميذ ، ولكن أساليب الوصول إليها تتلاءم مع احتياجاتهم وأولوياتهم .

■ يفهم الآباء والتلاميذ المستويات ونظم التقييم ويدعمونها .

■ لا يحدد التعلم بمقدار الوقت الذى قضاه التلميذ فى المدرسة ، بل بما تعلمه فعلاً .

■ يوجد التزام بالتطوير المستمر لكافة جوانب النظام التعليمي وأدائه .

■ لا يقتصر تقييم إنجاز التلميذ على الاختبارات التقليدية المعتمدة على الورقة والقلم .

■ يستطيع التلاميذ تجميع وتقدير وتقويم إنجازاتهم .

■ يحدد المسؤولون درجة من التوقعات العالية، يعمل الجميع على الوصول إليها .

■ لا توضع حدود عليا (نهائية) للتعلم والإنجاز .

■ يدعم التقييم عملية التعلم .

حدد مجلس الواحد والعشرين السمات التالية للمدارس ونظم التعليم في القرن الحادى والعشرين ، التى تعالج الحاجة إلى مستويات رفيعة وتقوم فعال :

■ تتفق المدارس والعائلات والمجتمعات المحلية على مستويات عالية لأداء التلاميذ.

مع اقتراب المدارس ونظم التعليم من القرن الواحد والعشرين ، يتطلع كثيرون إلى التنبؤات المستقبلية ، ويحاولون تحليل التغيرات السكانية المتوقعة ، ويفكرون فيما يحتاج التلاميذ إلى معرفته والقدرة على عمله ، ويتابعون الأبحاث التى تجرى على المخ ، ويطورون بيانات عن الرؤى المستقبلية المهمة لتكون هادياً لهم .

يوافق معظم الناس على أن التوقعات العالية ضرورية ، ولكن بشرط أن تعتمد بتوفير الموارد لمساعدة التلاميذ على تحقيق هذه التوقعات . وأكثر التوقعات ثباتاً واستقراراً هى التى تكون نتيجة لتفكير عميق ، وبالاتفاق بين هيئة المدرسة والعائلات والمجتمعات المحلية والتلاميذ أنفسهم ؛ ذلك أنه من الصعب أن يشعر الإنسان بملكية شىء ما أو الانتماء إليه ، دون أن يكون منغمساً فيه مرتبطاً به على نحو ما .

يجب أن يجرى تحديد التوقعات على كافة المستويات ، من المنطقة التعليمية إلى المدرسة إلى الفصل . قد يكون بعض هذه التوقعات علنياً وعلى مستوى المنطقة ، وقد يكون البعض الآخر خفياً يركز على الحاجات الخاصة لتلميذ معين . وتوفر عملية تحديد التوقعات فرصة للمربين ، ليس فقط لكى يجذبوا المجتمع المحلى ويشركوه فيما يفعلونه ، ولكن أيضاً لتوعيته وتربيته حول كيفية تعلم التلاميذ ، وكيف يعملون هم لصالح التلاميذ ، وكيف يستطيع المجتمع المحلى المساعدة .

■ تسرى المستويات الرفيعة ذاتها على جميع التلاميذ ، ولكن أساليب الوصول إليها تتلاءم مع احتياجاتهم وأولوياتهم .

تقود كل مناقشة عميقة لموضوع المستويات إلى التفكير فى أن مجرد وضع أو تحديد المستويات وحده لا يكفى . تحتاج المدارس أيضاً إلى الموارد لمساعدة جميع التلاميذ

على الوصول إلى هذه المستويات . وقد يعنى هذا أن يفصل المدرس تعامله مع التلميذ ؛ بحيث يتلاءم مع أسلوب تعلم التلميذ . وقد يعنى أيضاً العمل مع تلميذ عانى من الفقر، أو جاء من ثقافة أو منطقة من العالم مختلفة تماماً ، أو رأى أو كان ضحية لعنف بالغ . يتطلب تحديد المستويات وتحقيقها لكل تلميذ جهداً متناسقاً ودعمًا قويًا من كل نظام تعليمي ومن المجتمع المحلي .

يشكو معظم الناس في وقت ما من « المعايير المزدوجة » . وقد أصاب هذا الوباء ، لسوء الحظ ، المدارس منذ عدة عقود . وعلى سبيل المثال ، عندما يوضع تلميذ ما مع مجموعة أضعف منه ، يكون المنهج أقل صعوبة ويتأخر التلميذ كل يوم عن زملائه الأصليين . وفي عمل بالغ الحيوية والأهمية مثل التعليم ، يجب الموازنة بين سهولة العمل ويسره للمربين والمدارس ، مقابل المكاسب والخسائر المحتملة للأطفال .

■ يفهم الآباء والتلاميذ المستويات ونظم التقييم ويدعمونها .

في القرن الواحد والعشرين ، يجب على المربين أن يساعدوا المجتمعات المحلية على فهم الحاجة إلى تغيير أفكارنا حول الطريقة التي ينبغي أن تعمل المدارس وفقاً لها . إن طريقة تقييم التلاميذ وتصنيفهم إلى مجموعات : ممتاز ، جيد جداً ، جيد ، مقبول ، ضعيف (A, B, C, D, F) نتاج لمجتمع يصير على تصنيف الناس إلى فائزين وخاسرين . أخيراً بدأت الأمة تكتشف أننا لا نستطيع ببساطة وضع الدرجات ورفع الأيدي .. ذلك أن الفاشلين يمثلون خسارة لنا جميعاً .

■ لا يتحدد التعلم بمقدار الوقت الذي قضاه التلميذ في المدرسة ، بل بما تعلمه فعلاً .

خاض ويليام سبادي (William Spady) معركة طويلة نبيلة دفاعاً عن تعلم التلميذ . وهو ينادى بأن المدارس كانت - لسنوات طويلة - تنظم عملها على أساس الوقت ، بينما يجب أن تركز في الحقيقة على المخرجات أو النتائج . وجوهر فكرته أن مجرد

إكمال خمس سنوات من الدراسة أو عشرة مقررات لا يماثل في الأهمية ما تعلمه التلاميذ فعلاً، ويستطيعون تطبيقه في حياتهم . وباختصار .. لا يمكن تحديد التعلم بمقدار الوقت الذي أمضاه التلميذ في المدرسة .

■ يوجد التزام بالتطوير المستمر لكافة جوانب النظام التعليمي وأدائه .

في العقد الأخير من القرن العشرين ، بدأت المدارس في الاهتمام بإدارة الجودة الشاملة . وبعد محاولات متقطعة ومتعثرة ، بدأت بعض نظم التعليم في تبني مفهوم الجودة الشاملة وتطبيقه وتطويره باستمرار .

ومن الأمثلة على ذلك حالة المدارس العامة في مقاطعة بينلاس بولاية فلوريدا (Pinellas County , Florida) . يعمل نظام التعليم في المناطق بحرية ، بقيادة المراقب ج . هوارد هينسلي (J. Howard Hinesley) ؛ لتحقيق مجموعة محددة من الأهداف ، مع الالتزام بالتطوير المستمر . حتى التلاميذ ، يتابعون تقدمهم الفردي ويعملون مباشرة مع المدرسين لتحديد الكيفية التي يمكن أن يتطوروا بها . تجرى ترجمة أهداف الولاية والمنطقة والمدرسة والفصل والتلميذ إلى خبرات تعليمية وتقييمها . تشمل القيم المحورية لمدارس مقاطعة بينلاس : رضا العميل عن جودة العمل ، القيادة القوية ، التحسين المستمر ، مشاركة العاملين وتنميتهم ، الاستجابة السريعة ، جودة وحماية حسب الطلب ، نظرة بعيدة المدى ، الإدارة بالحقائق ، تنمية الشراكات ، مسئولية المؤسسة والمواطنة ، الاهتمام بالنتائج .

يقول جون أورورك (John O' Rourke) ، المراقب في بيتسفورد ، نيويورك (Pittsford, N. Y.) الحاصل على لقب مراقب العام على المستوى الوطني ، الذي حاز نظامه المدرسي على جائزة إكسلسيور (Excelsior) للجودة التي يشهد التنافس للحصول عليها : « يجب أن يصبح التطوير المستمر مؤسسياً » . ويضيف أورورك قائلاً : « التطوير المستمر يعني أنك لن تصل أبداً إلى خط النهاية، ولكنك ستواصل الجهد من أجل تعليم أفضل » .

❑ لا يقتصر تقييم إنجاز التلميذ على الاختبارات التقليدية المعتمدة على الورقة والقلم .

ونحن ندخل الألفية الثالثة ، يستخدم كثير من المدارس التقييم المعتمد على الأداء (performance - based assessment) . ويقوم بعمل ملفات تقييم كل شيء من عينات من الكتابة إلى تفسيرات للكيفية التي توصل بها التلميذ إلى الإجابة الصحيحة (أو غير الصحيحة) عن مسألة رياضية .

يجرى الآن في كثير من نظم التعليم استكمال اختبارات الاختيار من متعدد وملء الفراغات باستخدام أساليب التقييم المعتمد على الأداء ، التي تهدف مباشرة إلى معرفة وقياس أداء التلميذ على نحو يومي ، وتقديم مساعدة فردية للتلميذ . وتتضمن هذه الأساليب في التقييم عادة ملفات عن عمل التلميذ .

❑ يستطيع التلاميذ تجميع وتقدير وتقييم إنجازاتهم .

في مقاطعة بينيلاس بولاية فلوريدا ، تعلن أهداف الفصل الدراسي على الحائط ، ويضع التلاميذ بياناً بأهدافهم الفردية على مكاتبهم . وعندما ينجز التلاميذ مهمة معينة ، يحرصون على أن يراجعها المدرس ويقدم لهم تعليقاته واقتراحاته .. إنهم يريدون الانتقال إلى المهمة التالية الأكثر تحدياً ، ودائماً يستطيعون - تقريباً - شرح أهمية ما يتعلمونه وفائدته لهم في المهمات التالية وفي حياتهم .

الفكرة هنا هي اهتمام التلاميذ بتعليمهم ومشاركتهم فيه ، وإثارة حب الاستطلاع عندهم ، وتشجيع عمل الفريق ، وتحويل التلاميذ إلى مديرين لتعلمهم . وعندما يتعلم التلاميذ كيف يجمعون ويقدرسون ويقومون بإنجازاتهم ، يصبح التعليم أكثر من شيء تفعله المدرسة لهم أو بهم ، يصبح شيئاً يفعلونه هم لأنفسهم ومستقبلهم .

❑ يحدد المسؤولون درجة من التوقعات العالية ، يعمل الجميع على الوصول إليها .

من أصعب أدوار القيادة وأكثرها إثارة للتحدي ، إدارة التوقعات ؛ فمراقب التعليم ، على سبيل المثال ، لا يجب عليه أن يضع نغمة ويشيع جواً من التوقعات

العالية للتلاميذ وأعضاء هيئة التدريس فقط ، بل عليه أيضاً أن يساعد الآباء والمجتمع المحلي على فهم ما ينبغي توقعه ، وكيف يمكنهم المشاركة في تحقيقه كأعضاء في الفريق. هذه المهمة الحساسة الدقيقة مركزية لكل دور يقوم به المدير ، من المراقب إلى المسئول في المكتب المركزي إلى مدير المدرسة .

❑ لا توضع حدود (عليا) نهائية للتعليم والإنجاز .

عندما تجاوز اهتمامات وقدرات التلميذ حدود المنهج القائم ، يجب أن تساعد مدارس القرن الواحد والعشرين التلميذ على تخطيط هذا السقف المفروض بطريقة تعسفية والهرب منه . قد يشعر التلميذ ، القادر على المضى إلى ما وراء الحدود المفروضة أو المتوهمه ، بالإحباط إذا أرغم على التوقف ، وقد يفقد فعلاً الاهتمام والدافع إلى التعلم .

هذا هو السبب في أن كثيراً من نظم التعليم، ونحن ندخل القرن الحادى والعشرين، تسمح بالتقدم المستمر . وعلى سبيل المثال ، إذا كانت تلميذة في الصف السادس تستطيع دراسة مقرر للرياضيات في مستوى الكلية (المدرسة الثانوية) ، فثمة كثير من المدارس يؤمن بأنه يجب إتاحة الفرصة لها وإزاحة الحواجز التي كانت تمنعها من ذلك في الماضي . وترغب بعض نظم التعليم في أن يتسع تعليم الموهوبين والمتفوقين بحيث يشمل جميع التلاميذ، ويتيح لهم الفرصة للتفوق إلى ما وراء التوقعات التقليدية بكثير . وقد أجرى بعض المدارس ترتيبات مع بعض الكليات المحلية ذات السنتين أو الأربع سنوات لمساعدة التلاميذ الموهوبين على التقدم إلى الأمام . ومرة أخرى ، تبدو الحاجة ملحة إلى المدرسين المهرة والموهوبين ، المدرسين الذين يشعرون بالراحة وهم يتعلمون من التلاميذ مثلما يشعر التلاميذ وهو يتعلمون منهم .

❑ يدعم التقييم عملية التعلم .

تضع ستيفانى باس مارشال (Stephanie Pace Marshall) رئيسة أكاديمية إيلينوى للرياضيات والعلوم (Illinois Math and Science Academy) ، هذه السمة في إطارها

الصحيح ، عندما تعلق قائلة : « يتطلب القرن الواحد والعشرون توليد المعرفة ، وليس مجرد تقديم المعلومات ... نحن بحاجة إلى صنع ثقافة البحث ... نحتاج إلى تطوير لغة جديدة إذا كنا نأمل في مساعدة التلاميذ على خلق عوالم جديدة » .

من أوجه النقد المزمّن الذي كان يوجه إلى عملية التقييم ، أن نتائجه تحفظ في الملفات ، ولكنها لا تساهم بالضرورة في عملية التطوير . هذا الوضع أخذ في التغير ، مع الالتزام المترام بالتطوير المستمر ، وباعتبار التقييم ليس مجرد عملية إضافية أو زائدة ، بل جزءاً حيوياً من كافة البرامج التعليمية . في مدارس القرن الواحد والعشرين ، سوف يكون كل مدرس مسئولاً عن أن يحدد بوضوح ما المتوقع من التلاميذ في فصله . سوف يعرف التلاميذ والمدرسون ، وهم يعملون معاً ، متى تم إتقان مهارة ما ، أو أن الأمر يحتاج إلى مزيد من التحسين .. سوف تكون التغذية المرتدة فورية .

سوف يتعلم التلاميذ والمربون والآباء والمجتمع المحلي معاً ؛ إذ يجمع بينهم الاهتمام المشترك ، والحاجة إلى تطوير التعليم باستمرار .

سمات إضافية

مستويات رفيعة وتقييم فعال

من السمات الأخرى في هذا المجال ، التي حددها مجلس الواحد والعشرين ، ما يلي :

- ❑ يخضع المدرسون والمديرون لعمليات تقييم وتقييم ذاتي دورية ، لضمان التطوير المستمر .
- ❑ تشمل الخاسبة قياس أوجه القوة عند التلاميذ وأفضل أداء لهم .
- ❑ يظهر التلاميذ القدرة على الفهم والنمو في التعلم .
- ❑ يعتمد تقديم المعلومات على الوسائط المتعددة (multimedia) ، وليس على الكتب وحدها .
- ❑ يركز تقييم أداء التلاميذ والهيئة التعليمية على التطوير المستمر لكفايات معقدة .
- ❑ يصبح التطوير المستمر مؤسسياً .

- يحاسب المدرسون ومديرو المدارس على إنجاز التلاميذ، كما يقاس في مواد متنوعة .
- الأقربون إلى الفصل الدراسي لهم صوت في السياسات والإجراءات .
- يفهم أعضاء مجالس المدارس والمديرون أهداف المدارس والمدرسين والتلاميذ ، ويقرّرونها .
- يحدد مجلس إدارة المدرسة أساليب المحاسبة والمراقبة ، ويتحمل المراقب مسؤولية القيادة ومواجهة هذه المحاسبة .
- تضع مجالس إدارات المدارس بمشاركة المهتمين بأمور التعليم الرؤية والسياسة ، بينما يتحمل المديرون مسؤولية تشغيل النظام .
- يجرى تحديد وتنظيم التعليم ؛ بحيث يضمن تحقيق وأداء قدرات معينة تتطلبها المهنة والحياة المدنية (الاجتماعية) والعائلية .
- يخرج التلاميذ من التعليم عاملين منتجين ، وفقاً للمواصفات التي يحددها أصحاب العمل والاقتصاد القومي .
- يستخدم التلاميذ المجتمع المحلي كحجرة دراسة ، ويعالجون قضايا المجتمع المحلي ومشكلاته ويحلونها كجزء من المنهج، وينظر إليهم المجتمع المحلي على أنهم موارد له.
- يوفر النظام للتلاميذ طرقاً تحليلية ؛ لكي يبرهنوا على فهمهم للمعارف والمهارات الأساسية.